ذلك في القطر غير مرة وعلمت بهِ شركة الترامواي في القاهرة فلم تعبأ باقتراحهِ فعسى ان تهتم الآن بذلك

اما الاستنباط الاميركي فمذكور في جزء ٣ يونيو سنة ١٩٠٠ من جريدة السينتفك اميركان صفحة ٣٤٣ واقل ما يطلب من شركة الترامواي في العاصمة ان تكتب الى شركة الحواضن Rodman Car-Fender Company Olathe, Kans, U. S. America. وتستعلم منها عن كل ما يتعلق بهذا الاستنباط وكيفية استعمالهِ ومقدار فائدتهِ الى غير ذلك من الامور المتعلقة بهِ عساها تزيل الضرر من مركبات الترامواي فتصبح نفعاً محضاً

الاشتراكيون الديموقراطيون

لحضرة الكاتب الجيد خليل افندي ثابت

من يجل في ارياف القطر المصري ويشاهد الفلة يحمل واحدهم سحابة نهارهِ ليكسب ثلاثة غروش فاذا قبضها عاد بها مسروراً يتعجب لانتشار الاشتراكية في البلدان الاوربية على كثرة الاعمال وتنوعها فيها وارتفاع الاجور فضلاً عما قيّض الله لتلك البلاد من العدل والحرية والراحة والامان. لكن المتأمل يعلم ان الحاجة والفاقة هما اصل الاشتراكية وان ما نسمعهُ عن التقدم والاصلاح في اوروبا انما هو صحيح بوجهٍ عام وان هنالك من الفقر والمصايب ما ينفطر لهُ الفؤاد. فالعامل يجدّ نهارهُ وليلهُ ليكتسب قوت اهل بيتهِ وليبتاع لهم ثياباً تدفئهم ايام البرد والزمهرير وليكسب ما يساوي اجرة البيت الذي يسكنهُ لكنهُ كثيراً ما يقصر دون نيل تلك الغاية اما لارتفاع اسعار الطعام والوقود واجور المساكن واما لهبوط اجور العملة او لاجتماع الامرين. وقد يحدث انهُ لا يجد عملاً تكساد التجارة وكثرة المصنوعات المخزونة مما يقضي على اصحاب المعامل بانفال معاملهم تجنباً للخسارة ان تلحق بهم. فالبلاد الحارة المخصبة كمصر مثلاً بلاد الفقير ينام في العراء اذا عدم المسكن ويأكل ما شاء من البقول والاثمار فلا يحتاج الى الملبس والادهان وهو في غنىً عن الوقود بما في طبيعة البلاد من الحرارة التي يعدمها اهل الشمال ويستعيضون عنها بما يوقدونهُ من الفحم والحطب مما يستنزف جزءاً كبيراً من ثمار اتعابهم واجورهم

والاشتراكية حالة الانسان الفطرية يوم كان الناس اقواماً رحّلاً لم يعمّروا الاقاليم ولا اتخذوا مكاناً الاّ وعصيُّهم في ايديهم واحذيتهم مشدودة لمغادرتهِ اذا قلّ المرعى ونضب الماء

لكن تلك الحالة لم تدم طويلاً فلم يلبث الانسان الوحشي ان انس الى الحضارة فكان ما كان من تقسيم الموجود بين افراد الجماعة وتلا ذلك التملك بالغلب او بالارث او بالشراء حتى تفرد قوم بالغنى وآخرون بالفقر فاستعبد الغني الفقير بماله وابتاع دمهُ وحياتهُ وعرق جبينهِ بما يكفي لسد رمق ذاك وكان للسيد على عبدهِ السلطة التامة فاذا شاء قتلهُ واذا شاء ابقى عليهِ وقد كان الغاء الاسترقاق خطوة كبيرة في سير الاشتراكية فانها اعلنت المساواة الجبرية بين بني البشر

وقد تقدم للتحقق انهُ نشر المقالات الكثيرة في الاشتراكيين ومذاهبهم وزعمائهم المشهورين فيهم وموقف هذه الطائفة تجاه العالم المتمدن فرأيت ان اتبع تلك المقالات بشيء في فئة منهم تسمي نفسها " الاشتراكيين الديموقراطيين " يكثر وجودها في بلاد الانكليز وقد حاول المستر هربرت سبنسر شيخ العلم الاجتماعي تفنيد مذاهب هذه الفئة في مقالة نشرها في مجلة " الكونتمپوري رڤيو " Contemporary Review منذ خمس عشرة سنة وسآتي في عرض الكلام على بعض اقوالهِ فيها وما يرد عليهِ بهِ زعماؤها

غاية هذا الفريق من الاشتراكيين كما يؤخذ من كتبهم هي تعميم وسائل الاستثمار والاستغلال وتوزيع الغلة والمصنوع وبيعها بادارة حكومة ديموقراطية (جمهورية) تشتغل لخير الجماعة بأسرها وتحرير العمل والعمال من ربقة السخرة والعبودية لاصحاب الاموال والاملاك والمساواة بين الرجل والمرأة اجتماعياً واقتصادياً

وقد خطوا الطرق الموصلة الى هذه الغاية واليك ملخصها

(١) يشترك كل بالغ في انتخاب اولي الامر ولقوم الجماعة بنفقاتهم

(٢) الشعب هو الشارع فلا يُعمل بقانون ما لم يصادق عليهِ اكثر الامة

(٣) الغاء الجيوش القائمة تحت السلاح وتنظيم حرس وطني يتولى الدفاع عن البلاد والامة وحدها حق الحكم في اعلان الحرب او التزام السلم

(٤) يجعل التعليم اجبارياً زمنياً (لا دينياً) بدون ثمن مقابل

(٥) تنظيم المحاكم بحيث يستطيع جميع الناس نيل حقوقهم بواسطتها دون ان يكلفوا لدفع رسوم

(٦) تعد وسائل الاستغلال والاستثمار والتوزيع والمبادلة والمقايضة من المنافع العامة فهي ملك الجماعة

(٧) تسن الجماعة نظام توزيع الثروة لخير جميع افرادها

(٨) تقام محاكم دولية تحكم في الخلافات الناشئة بين الامم

وقد اشاروا بما يأتي تخفيفاً لمصايب البشرية بما يعود بالفائدة في الزمان العاجل

(١) تبنى مساكن موافقة لسكن العمال لا تزيد اجرتها عما يقتضيه بناؤها وحفظها من الاكلاف والنفقات

(٢) لا يجوز لاحد ان يجبر ولداً دون السادسة عشرة على احتراف حرفة او العمل في تجارة ومن خالف ذلك واغرى احد الصغار يعد جانياً يستحق العقاب الشديد

(٣) تحدّد ساعات العمل فلا تتجاوز الثماني في اليوم او اربعاً واربعين ساعة في الاسبوع ومن خالف ذلك من اصحاب الاعمال والمعامل يعاقب شديداً

(٤) توكل ادارة السكك الحديدية والترع الى الحكومة والمجالس البلدية وحدها حق اصطناع نور الغاز والكهربائية وتوزيعهما ولها وحدها الحق في ادارة اعمال ماء الشرب

(٥) تعمم عربات الترامواي وعربات النقل لتسهيل اعمال الجماعة كلها

(٦) تعمم بنوك اليوسطة حتى تستغرق كل الاعمال التي يقوم بها الصيارفة ويربحون بها من مال القوم

(٧) يلغى الدين الوطني

(٨) تسلخ الكنيسة عن الحكومة وتشاد ملاجئ للعجزة والضعفاء من العمال ومن تجاوز الخمسين فالجماعة تقوم بنفقاته الاّ من اراد العمل بعد الخمسين فلهُ ذلك

(٩) تبنى مستشفيات بلدية حيث تبدو الحاجة اليها

وغنيٌّ عن البيان ان المنافسة بين العمال والتجار واصحاب الرساميل يدّاً في اسقاط الاجور فالبطّال يقنع بكسب اقل مما يكسبهُ العامل اذا هو اعطي مكان هذا على ذلك الشرط. ومن يمعن النظر في تاريخ الاستعمار الحديث في الولايات المتحدة يتضح لهُ ذلك جليّاً بحيث ان حكومة الولايات المذكورة رأت منذ زمن وجوب وضع حدّ لمهاجرة العمال اليها من كل حدب وصوب وضربت الكوس الفاحشة على البضائع الاجنبية التي ترد الى بلادها حماية لمصنوعاتها وعمالها على ان الامر ليس كذلك في بلاد الانكليز حيث ابواب التجارة مفتوحة للجميع على السواء ولا تفرض الحكومة مكوساً الاّ على القليل من الواردات فكان من ذلك ومن كساد التجارة ان بقي عدد غفير من العمال لا عمل لديهم ولا صناعة يلجأون اليها فحركت الحالة قلوب زعماء هذه الفئة وقاموا يطالبون الحكومة بالاصلاح ويدعون الشعب لشد ازرهم على غطٍ يكفل لجميع القادرين على العمل وطالبيهِ ايجاد ما يضمن لهم ولذويهم القوت والمسكن من الاعمال ويرى الاشتراكون الديموقراطيون ما يراهُ اخوانهم في جميع انحاء العالم من ان استئثار

ذوي الرساميل والاملاك هو العامل الاكبر في هذا النقص في المجتمع وان احتكار الشركات لسكك الحديد وما اشبهها يعود بالربح الكثير على فئة صغيرة من الناس فيكسبهم ألوف الدنانير وما هي سوى عرق النعلة المساكين ودماء قلوبهم بينما هؤلاء لا يكسبون ما يزيد عن الضروري لسد حاجاتهم

اما المستر هربرت سبنسر فيرى في نجاح الاشتراكية استعبادًا للجنس البشري وينسب ما يلاقيه ألوف العمال من المشقة والعناء والبطالة في لندن وغيرها الى كسلهم وانغماسهم في الشهوات والسكر وعنده ان المجتمع الانساني غير مكلف بامعاش هؤلاء وقد جنوا على نفوسهم والمجتمع ولقوا جزاء ما فعلوا. ولا يتكر عليه الاشتراكيون ان من العمال مَن هو كسل سكير وان المجتمع لن يعدم امثال هؤلاء في كل الاحوال ولكن اكثر العمال لم يعدموا العمل لذنب اقترفوه وانما هو انحطاط التجارة وكساد البضائع وكثرة السكان فكثيرون من هؤلاء المساكين يرضى الاشتغال باية المهن بما يضمن له القوت فقط. والذي يطالب به الاشتراكيون انما هو تخليصهم من الشقاء والمصايب التي مصدرها نظام العالم المتمدن الحالي تلك المصايب التي باتت حملاً على كاهل البشرية باسرها. ومن المعلوم ان المستر هربرت سبنسر من اكبر زعماء مذهب بقاء الانسب وانصاره اي انه من المنادين بالفردية ضد الاشتراكية وعنده ان من لا يعمل لا يحق ان يأكل فاذا مات جوعًا فذاك جزاؤه سعى اليه بنفسه قياسًا على ان ما كان من النبات والحيوان عديم القوة لا يعمر طويلاً وجواب الاشتراكيين على قوله هو ان بين جماعة الاغنياء والمستأثرين بالرساميل من لم يأثر عملاً نافعًا في حياته ولا يستطيعه لكن جميع اسباب الراحة والرفاه متوفرة لديه فهو بالحقيقة عالة على فئة من العمال الذين يطعمونه ويسقونه بكدهم وتعبهم ويقول الاشتراكيون ان اقوامًا كهؤلاء لاشد ضررًا في الهيئة الاجتماعية من العمال الفقراء الذين لم يعرفوا معنى للشبع في حياتهم

ثم نظر المستر سبنسر في نظام المدارس فاعترض على ما هو حادث من تكليف زيد لدفع ما يقوم بنفقات تعليم ابن عمرو وليس هذا من ذويه او ولده لكن الاشتراكيين يحسبون ذلك واجبًا لتقدم الامة باسرها وان من العار والانحطاط ان يشبّ اولادها وهم جهلة لا يفضلون البرابرة في المعرفة والعلم

ويقدر المستر سبنسر درجة عبودية المرء بنصيبه من قيمة عمله فاذا كانت قيمة عمل العامل في اليوم خمسين قرشًا فعبوديته تختلف باختلاف ما يعطيه اياه سيده من هذه الخمسين وما يحتفظ السيد لنفسه وعليه فلا فرق في كون السيد رجلاً واحدًا او جماعة وسواء اصاب العامل

هذا الجزء من قيمة عمل من رجل واحد او من المجتمع بأسره فهو في الحالتين عبدٌ لهذا او لذاك . ومع ان الاشتراكيين يسلمون بتعريف المستر سبنسر لكنهم يعقبون عليه بقولهم ان عبودية العمال لاصحاب الرساميل في الزمان الحاضر اشدُّ مما يمكن ان تكون فيما لو اشتغل هؤلاء للمجتمع اي انهم يصيبون في الزمان الحاضر اقلّ مما يكسبون لو جرى الامر على ما يروم الاشتراكيون فان المرء في الزمان الحاضر مجبر على الاعتمال بما يدفع عنهُ غائلة الجوع ولما كانت المنافسة بين الصنّاع وذوي الاموال عامةً التزم العامل ان يرضى من الاجور بما هو اقلّ جدًّا مما يستحق مكافأةً لهُ على اتعابهِ بعد خصم ما ينبغي ان يصيب راس المال اللازم للعمل. وتأييدًا لزعمهم هذا يستشهدون بما يقاسيهِ المشتغلون في معامل الخياطة في مدن انكلترا وما تأتيهِ البنات المشتغلات بالبيع في المخازن الكبيرة من الاعمال المخالفة للآداب كي يكتسبن من الدراهم ما ينقصهنَّ من الاجور قيامًا باودهنَّ وما يعانيهِ مستخدمو سكك الحديد وعمالها من النصب والعناء والمشقة الى آخر ما هنالك من مصايب العمال على اختلاف طبقاتهم وتباين مهنهم

ويرى المستر سبنسر في جملة ما يراهُ ان تقدم الاشتراكية ونجاحها يأولان الى اضعاف مقام الفرد وبالتالي تقليل همتهِ وترجيح قدم المجتمعات كالحكومات والمجالس البلدية . ويحجة الاشتراكيون بقولهم ان اكثر الاعمال العظيمة في الزمن الحاضر انما هي بيد الشركات حيث لا يدَ للفرد ولا فعل للرأي العام كما يشاهد في الولايات المتحدة خاصةً فان المستر فندربلت المثري الاميركي المشهور كان يتكلم بلسان عصابة من الاغنياء حين قال " ليهلك الشعب " فقد قال ذلك وهو رئيس احدى هذه الشركات الغنية . فلم يهتم وشركاؤهُ فيما يعود بالخير والاسعاد على سائر افراد المجتمع

وعند الاشتراكيين انهُ لو اخذت الحكومة على عاتقها ادارة السكك الحديدية وما شاكلها من المنافع العامة لقلت النفقات اللازمة لادارتها كما يشاهد في اعمال البريد فان نفقات البوسطة في مملكة واحدة اقل مما لو تولت اعمال البريد في تلك المملكة شركتان او ثلاث شركات . ومتى فعلت الحكومة ذلك فيجب عليها ان تحسب ربح هذه الاعمال حينئذٍ جزءًا مما يستغرّ كل سنة لنفع المجتمع وخير افرادهِ وانهُ يجب على كل فردٍ الاشتراك في العمل الذي يصيبهُ بحسبما تفرضهُ الادارة العامة ولا يحق لاي كان ان يرفض العمل ما لم يكن عاجزًا او ما يماثل ذلك

وقد جاء في صدر هذه المقالة ان الحاجة والفقر هما منبت الاشتراكية واني ملمٌّ هنا ببعض ما يحدث في اوربا مما يزيد في ضيق العمال ويدفعهم الى السخط عن الحالة الحاضرة

فلا يمرّ دهر في اوربا لا تصاب فيه التجارة بكساد والذي يطلع على تقدم الصنائع وكثرة الاختراعات وتحسين الآلات والمعامل وتسهيل وسائل النقل يعلم ما لهذه من التأثير في تقليل العمل وتقليل عدد العمال . فقد كانت المصنوعات قبل البخار تصنع بايدي العمال وبقوتهم فلما شاع استعمال الآلات البخارية قلّت الحاجة اليهم ثم تلا ذلك التحسين المطرد في هذه الآلات فازدادت كمية المصنوع بها دون زيادة عدد العمال الذين يتولون ادارتها على ان هناك من الاسباب ما هو اولى بالنظر مما تقدم. خذ عاملاً يكثر فيه طلب المصنوعات والبضائع من اوروبا فان اصحاب المعامل يسرعون الى زيادة العمال واكثار الادوات فيكثر العمل وترتفع اجور الفعلة وتزداد المنافسة بين اصحاب الرساميل ويشتد بهم الجشع للكسب فيصنعون من البضائع ما يزيد عن الحاجة اليها فيعقب ذلك الدور دور الكساد ويجبرون على اخراج العمال من مصانعهم وهكذا يصبح الوف من هؤلاء منتشرين في انحاء العالم ولا عمل لديهم وليس لهم ما يتاعون به القوت. وقد حسب بعضهم ما اصاب انكلترا من سني الرغد في قرن واحد فكان كما ترى

من سنة ١٧٧٠	الى سنة ١٨١٩	سنو الرغد	٤٥	سنو الشدة	٥
" " ١٨٢٢	" " ١٨٦٠	" "	٣٠	" "	١٩
" " ١٨٦١	" " ١٨٨٤	" "	٠٩	" "	١٥

وهذه الزيادة في سني الضيق والشدة مقارنة لاجتشاد السكان في البلدان المتمدنة تتفق مع ادخال الآلات العظيمة والاستعاضة عن البالغين من الرجال بالاولاد والنساء اذ القوة متوفرة في الآلات نفسها

هذا بعض ما يراه زعماء هذه الفئة من الاشتراكيين ولا ريب في انهم مصيبون في بعض ما يقولون مخطئون في البعض الآخر ولتاريخ الاقتصاد المستقبل ان يبتّ بحجاجهم في اقناع الناس بصحة ارائهم او باخفاقهم في ذلك . ولا مشاحة في ان ثورة الخواطر في اوروبا احدثت اثرًا مهمًا في عمرانها واجلت عن تغيير وابدال في شرائع الحكومات وعوائد البلدان مما عاد بكثير من الخير ولعلّ هذا معظم فضل الاشتراكيين فان الغلاة منهم يطالبون بما لن يحدث في المستقبل العاجل او بما لن يحدث ابدًا لكنّ مجاهرتهم بارائهم نبهت الافكار وايقظت العقول فكان من ذلك ما كان من اهتمام العمال بامورهم واسراع الحكومات الى سنّ الشرائع المناسبة وتاليف الجمعيات لنجدة ذوي البأساء من العمال حتى اصبح بين اعضائها كثيرون من اصحاب الرساميل ممن كان يعتقد ان العمال خلقوا لخدمته. وبالاختصار فان الاشتراكية المعتدلة قد اتت العالم بكثير من الفوائد